الاحتلال الفرنسى الذى منيت به البلاد .

وخصلة الإحسان التى امتازت به هذه المرأة ، حين ندرسها ونستبطن بواعثها نجد أن صدورها منها كما تصدر الدوافع الضرورية التى تملك على الإنسان مشيئته ، ولا تكاد تبقى له على مشيئة يملكها بها أو يقاومها فيها ، فإن دوافع الإحسان فى هذه المرأة الكريمة أشبه شيء بدافع الحنان فى نفس الأب الرحيم ، وأى فضل للأب الرحيم فى عطفه على طفله الجائع أو طفله الباكى أو طفله السقيم .

إن فضل هذه الفضيلة يستصغر فى هذه السيرة ليبلغ غاية الكبر الذى تبلغه سجية إنسانية ، فقل إن شئت أنه لا فضل للسيدة نفيسة المرادية فى إحسانها للمعوزين إلا كفضل الأب ، أو الأم فى الإحسان إلى بنيها . ولكنك إذن تشهد بالفضل الذى لا فضل بعده للمرأة التى تملكها رحمتها بجميع الناس ، كما تملك الأب رحمته ببنيه ، فكانت حقا جديرة ليس بلقب أم المماليك فحسب بل أم المصريين جميعا !!

كانت محسنة إلى الغير ، من كل أعماقها ، كأن الإحسان تجسم إنسانا وعاش بين ثناياه ... ولما ذهب الغنى ، ودال المجد ، ونضبت الخزائن ، وأصبحت خالية الوفاض ؟؟.. وعدت عليها عوادى الأيام ، لم تتخل عن طبيعة الإحسان فيها ، فما زالت تساعد كل طارق يطرق بابها ، وكل بائس يقصد دارها . لا ترده خائبا بل معززا مكرما .

ولقد عاصرت المرادية أسوأ عهود المماليك فى الحكم ، وهو عهد حكم مراد بك زوجها الثانى ، وكانت على عكسه تماما من حيث الصفات ، فبينما كان جاهلا أخرقا طائشا كانت هى مثقفة ، حليمة ، تهتم